مقطع من رواية

(فصول محذوفة من رواية بتول)

محمد سعيد الصكار

جيء بها إلى هذا المكان، حيث لا حدود للقناعة، ولا حدود للشك، ولا لأي شيء؛ الحدود كلها مفتوحة، وكل شيء سائب ومعلق في الهواء، قابل للنقض والالغاء في أية لحظة؛ وهي أيضاً قابلة للالغاء في أية لحظة.

أحسّت بأنها تطفو، وأن توازنها تخلخل، صار كل شيء موضع شك ومهدداً بالانهيار.

يوم جيء بها إلى هذا المكان أسندوا إليها إدارة الشؤون الفنية التي لا حدود لواجباتها، فهي تمتد من تنظيم الحدائق والأرصفة، إلى تبويب كتب المكتبة العامرة بمختلف التآليف في العديد من فروع المعرفة، والتي لا يزورها أحد، ولم يكن للفنون أي حظ فيها.

بعد أيام، عهدوا إليها بادارة صالة الاحتفالات الكبرى، والاشراف على كل ما فيها، من الديكور إلى إعداد الطعام الرئاسي، وقد راق لها ذلك لكونه قريبا من مجال اختصاصها الهندسي، فكانت على صلة دائمة بقسم الديكورات الذي يضم أحدث أجهزة النجارة، ويشرف عليه مصمم معماري كانت على معرفة به، وكان ذلك يبعث في نفسها توازناً هي في حاجة إليه. الشيء الجديد الغائم والمربك في مسؤوليتها الجديدة هو إدارة صالات الموائد الرئاسية.

❖

أصدرت أوامرها إلى الطباخين، وراحت توزع بنفسها وحدات الديكور الذي يفترض، في رأيها، أن يتبدل وفق نوعية الضيوف ومواضعات بلدانهم وأديانهم، وطبيعة ما ستضمه الموائد من المآكل الرئاسية.

ذلك اليوم هرولت في كل اتجاه، تناقشت مع جميع العاملين، وزعت طلباتها على خمسين منهم، أكدت أوامرها،تابعتالتحضيرات، نقلت مادة من هنا ووضعت مادة هناك. إنهيومها الأول، امتحانها الذي لايقبل أدنى خطأ. كانت خائفة من أمر؟ ؟غير محدد، مع أن شيئا من الثقة بسلامة ذوقها الذي سوف لا يخفى على ضيوف هذه الليلة، كان يمنحها بعض الارتياح.

ما إن اطمأنت على سلامة كل الأمور حتى ركنت إلى زاوية من المكان وهي؟ مهدودة القوى متوترة الأعصاب، تنتظر مدير الديوان الذي سيأتي للاشراف على ما قامت به.

غامت نفسها ثانية، وأحست بأنها موشكة على البكاء وهي تتذكر ذلك اليوم.

– ما هذا أيتها الفنانة الذائعة الصيت كانت نبرته ملتبسة بين الثناء والانتقاد، فلم تميز بينهما. وإذ حنى رأسه وتطلع إليها باستخفاف، نشف ريقها وغارت الكلمات عميقاً في صدرها، وبذلت مجهوداً شاقا لتنطق بكلمة فلم تستطع. ظلت صامتة.

– نادي العمال ليزيلوا كل هذه الخزعبلات. ارفعي هذه الأصص الكريستال وما عليها من الأوراد الطبيعية التي ستذبل وتخجلنا أمام الضيوف الأجانب، وأرجعي صواني النحاس وبواخر الفضة والمنسوجات الوطنية والأوراد الاصطناعية إلى مكانها؛ يللا، بسرعة، أمامك نصف ساعة فقط.

نصف ساعة

إنها لا تكفي حتى للمّ هذه الأدوات، فكيف باعادة المواد القديمة التي دحرجتها إلى المخازن باعتبارها لا تناسب طبيعة هذا الوفد ولاغيره!

شعرت بموجة كثيفة من الهواء تنفخ في كيانها الذي راح يطفو، هواء في الرأس الذي لم يعد يأبه بما يُثقل عليه من صداع، تركز كل الضغط على جبينها وصدغيها، وانفتحت عيناها بانبهار مخيف على القاعة الواسعة، واندفعت بقوة تتحرك وتصدر أوامرها بعصبية مكتومة. لم يكن هناك وقت للتفكير.

– أزيحوا كل ما هو موجود وانقلوه إلى المخازن، هرولوا، أعيدوا الموجودات السابقة إلى مكانها في القاعة.

أيموجودات

من يدري ما الذي كان موجوداً طارت معهم إلى المخازن. حاولت أن تتذكر ما كان موجودا في القاعة؛ هذا،هذا، سلال الخوص، بساط البدو، التماثيل الفضية، صواني النحاس ودلال القهوة والأراكيل، يللا طيروا ! طاروا. يتجنب واحدهم الاصطدام بالآخر، سبقتهم إلى القاعة، ووجهت حركتهم، هنا، هناك، أديروا هذا إلى اليسار، هذا إلى الخلف، يللا، أمامكم عشر دقائق.

– إنعام تعالي معنا، نظمي الزهور الاصطناعية، لا، اتركيها لمحمود، جهزي الشراشف السورية، ومناديل الحرير. يا سماء ! ما الذي تفعله أنت يا جبار تحرك، خذ هذه الجرة الخزفية إلى أقصى القاعة وعلق البسط الصوفية هناك؛ إرفع لوحات جواد سليم وازاريللي، وضع مكانها صوراً ؟من البادية.

كان العمال والعاملات يبذلون أقصى جهدهم لتلبية أوامرها، وبسرعة خرافية؛ لا احتجاج ولا مناقشة ولا اقتراح، ليس إحتراماً منهم للأوامر، وإنما مشاركة لها في الخروج من محنتها المفاجئة؛ كانوا يشفقون عليها وهي في يومها الأول، ويعلمون ما يمكن أنينتظرها إذا فشلت.

❖

مر مدير الديوان بعد ساعة.

– هكذا؛ الآن أحسن. عليك أن تفكري دائماً بمنتجات الوطن. لا عليك بالأفكار الجديدة ومتابعة المودة. أنتفي مقتبل العمر وعليك أن تتعلمي الإتيكيت ومستلزمات إبداء التراث الوطني؛ نحن لسنا بلا تراث ولا تقاليد، من يزورنا ينبغي أن يتعرف علينا وعلى ما لدينا من حضارة ضاربة في التاريخ، هكذا تعلمنا. إذا كنت بحاجة إلى المزيد من سلال الخوص وأواني الفخار والمنسوجات الشعبية، فما عليك إلا أن تتصلي بالسكريتارية لتزويدك بما تريدين. أو لا! خذي رقم تلفوني، واتصلي بي متى شئت.

ما إنَ غادر حتى انزوتْ إلى غرفتها وراحت تبكي؛ أفهذا ما كانت تحلم به وتعلمته خلال بحثها المتواصل عن الجديد والجميل !

لم يحضر الوفد إلا بعد ثلاث ساعات. ولم تنته الدعوة إلا في منتصف الليل.

❖

– كيف كان يومك يا بتول

– أنا متعبة جدا، أحتاج إلى بعض الراحة.

– هل أعدّ لك كوب زهورات؛ ستنعشك

– شكراً ماما، أريد أن أنام الآن.

ولم تجب عن الاستفسارات المتتالية من أفراد العائلة، قالت لهم إنها متعبة جداً، وستحكي لهم غدا .

ملاعق الذهب

أين وضعت ملاعق الذهب يا إنعام في موضعها.

أخرجيها وأعيدي جلاءها، وحضّري المناديل البنية، اسرعي، لا تشغلي نفسك بشيء آخر.

حاضر.

تطلعت إلى المائدة المستطيلة، المفرطة في الطول؛ حركت مواضع الصحون، ؟وبلمسات خفيفة مرت على الزهور المنسقة الموزعة أمام المقاعد الباذخة، ووقفت على بعد تتأمل للمرة الأخيرة هيأة المائدة . كل شيء علي ما يرام. تنهدت وشعرت بالرضا. لكن غمامة من إحساس غامض صعدت إلى صدرها وضغطت عليه؛ قلق لازمها منذ أن جيء بها إلى هذا المكان أسندوا إليها إدارة الشؤون الفنية التي لا حدود لواجباتها، فهي تمتد من تنظيم الحدائق والأرصفة، إلى تبويب كتب المكتبة العامرة بمختلف التآليف في العديد من فروع المعرفة، والتي لا يزورها أحد، ولم يكن للفنون أي حظ فيها.

بعد أيام، عهدوا إليها بادارة صالة الاحتفالات الكبرى، والاشراف على كل ما فيها، من الديكور إلى إعداد الطعام الرئاسي، وقد راق لها ذلك لكونه قريبا من مجال اختصاصها الهندسي، فكانت على صلة دائمة بقسم الديكورات الذي يضم أحدث أجهزة النجارة، ويشرف عليه مصمم معماري كانت على معرفة به، وكان ذلك يبعث في نفسها توازناً هي في حاجة إليه. الشيء الجديد الغائم والمربك في مسؤوليتها الجديدة هو إدارة صالات الموائد الرئاسية.

❖

أصدرت أوامرها إلى الطباخين، وراحت توزع بنفسها وحدات الديكور الذي يفترض، في رأيها، أن يتبدل وفق نوعية الضيوف ومواضعات بلدانهم وأديانهم، وطبيعة ما ستضمه الموائد من المآكل الرئاسية.

ذلك اليوم هرولت في كل اتجاه، تناقشت مع جميع العاملين، وزعت طلباتها على خمسين منهم، أكدت أوامرها،تابعتالتحضيرات، نقلت مادة من هنا ووضعت مادة هناك. إنهيومها الأول، امتحانها الذي لايقبل أدنى خطأ. كانت خائفة من أمر؟ ؟غير محدد، مع أن شيئا من الثقة بسلامة ذوقها الذي سوف لا يخفى على ضيوف هذه الليلة، كان يمنحها بعض الارتياح.

ما إن اطمأنت على سلامة كل الأمور حتى ركنت إلى زاوية من المكان وهي؟ مهدودة القوى متوترة الأعصاب، تنتظر مدير الديوان الذي سيأتي للاشراف على ما قامت به.

غامت نفسها ثانية، وأحست بأنها موشكة على البكاء وهي تتذكر ذلك اليوم.

– ما هذا أيتها الفنانة الذائعة الصيت كانت نبرته ملتبسة بين الثناء والانتقاد، فلم تميز بينهما. وإذ حنى رأسه وتطلع إليها باستخفاف، نشف ريقها وغارت الكلمات عميقاً في صدرها، وبذلت مجهوداً شاقا لتنطق بكلمة فلم تستطع. ظلت صامتة.

– نادي العمال ليزيلوا كل هذه الخزعبلات. ارفعي هذه الأصص الكريستال وما عليها من الأوراد الطبيعية التي ستذبل وتخجلنا أمام الضيوف الأجانب، وأرجعي صواني النحاس وبواخر الفضة والمنسوجات الوطنية والأوراد الاصطناعية إلى مكانها؛ يللا، بسرعة، أمامك نصف ساعة فقط.

نصف ساعة

إنها لا تكفي حتى للمّ هذه الأدوات، فكيف باعادة المواد القديمة التي دحرجتها إلى المخازن باعتبارها لا تناسب طبيعة هذا الوفد ولاغيره!

شعرت بموجة كثيفة من الهواء تنفخ في كيانها الذي راح يطفو، هواء في الرأس الذي لم يعد يأبه بما يُثقل عليه من صداع، تركز كل الضغط على جبينها وصدغيها، وانفتحت عيناها بانبهار مخيف على القاعة الواسعة، واندفعت بقوة تتحرك وتصدر أوامرها بعصبية مكتومة. لم يكن هناك وقت للتفكير.

– أزيحوا كل ما هو موجود وانقلوه إلى المخازن، هرولوا، أعيدوا الموجودات السابقة إلى مكانها في القاعة.

أيموجودات

من يدري ما الذي كان موجوداً طارت معهم إلى المخازن. حاولت أن تتذكر ما كان موجودا في القاعة؛ هذا،هذا، سلال الخوص، بساط البدو، التماثيل الفضية، صواني النحاس ودلال القهوة والأراكيل، يللا طيروا ! طاروا. يتجنب واحدهم الاصطدام بالآخر، سبقتهم إلى القاعة، ووجهت حركتهم، هنا، هناك، أديروا هذا إلى اليسار، هذا إلى الخلف، يللا، أمامكم عشر دقائق.

– إنعام تعالي معنا، نظمي الزهور الاصطناعية، لا، اتركيها لمحمود، جهزي الشراشف السورية، ومناديل الحرير. يا سماء ! ما الذي تفعله أنت يا جبار تحرك، خذ هذه الجرة الخزفية إلى أقصى القاعة وعلق البسط الصوفية هناك؛ إرفع لوحات جواد سليم وازاريللي، وضع مكانها صوراً ؟من البادية.

كان العمال والعاملات يبذلون أقصى جهدهم لتلبية أوامرها، وبسرعة خرافية؛ لا احتجاج ولا مناقشة ولا اقتراح، ليس إحتراماً منهم للأوامر، وإنما مشاركة لها في الخروج من محنتها المفاجئة؛ كانوا يشفقون عليها وهي في يومها الأول، ويعلمون ما يمكن أنينتظرها إذا فشلت.

❖

مر مدير الديوان بعد ساعة.

– هكذا؛ الآن أحسن. عليك أن تفكري دائماً بمنتجات الوطن. لا عليك بالأفكار الجديدة ومتابعة المودة. أنتفي مقتبل العمر وعليك أن تتعلمي الإتيكيت ومستلزمات إبداء التراث الوطني؛ نحن لسنا بلا تراث ولا تقاليد، من يزورنا ينبغي أن يتعرف علينا وعلى ما لدينا من حضارة ضاربة في التاريخ، هكذا تعلمنا. إذا كنت بحاجة إلى المزيد من سلال الخوص وأواني الفخار والمنسوجات الشعبية، فما عليك إلا أن تتصلي بالسكريتارية لتزويدك بما تريدين. أو لا! خذي رقم تلفوني، واتصلي بي متى شئت.

ما إنَ غادر حتى انزوتْ إلى غرفتها وراحت تبكي؛ أفهذا ما كانت تحلم به وتعلمته خلال بحثها المتواصل عن الجديد والجميل !

لم يحضر الوفد إلا بعد ثلاث ساعات. ولم تنته الدعوة إلا في منتصف الليل.

❖

– كيف كان يومك يا بتول

– أنا متعبة جدا، أحتاج إلى بعض الراحة.

– هل أعدّ لك كوب زهورات؛ ستنعشك

– شكراً ماما، أريد أن أنام الآن.

ولم تجب عن الاستفسارات المتتالية من أفراد العائلة، قالت لهم إنها متعبة جداً، وستحكي لهم غدا .

اليوم المنكود

منذ ذلك اليوم المنكود وهي تتوجس من حرية الحركة. ومن تأويل المسؤولين لتصرفاتها، وما تثيره المنافسة في مجالات الوظيفة، خصوصاً مثل وظيفتها التي يحسدها عليها الكثيرون والتي تحتمل التأويل والتخريج بما لم تكن على دراية به. انكسرت في نفسها تلك الحماسة ورغبة التجديد والابتكار، وهي المهندسة الفنانة المشهود لها بالذوق الراقي، والخيال المجنح واللمسات الرهيفة. صار شأنها شأن أي موظف في هذا المكان، يؤدي ما يطلب منه دون مناقشة، ودون استقراء لكفاءاته ومواهبه.

ولكن المشكلة الأهم في وظيفتها هذه ليست في اختلاف الأذواق، ولا في ما يؤرثه الحسد، وإنما في الخوف المدمّر من غلط الآخرين، أو من سوء مقاصدهم؛ فمن يدري ماذا يُخبأ في هذا المكان من مكائد.

قلق وتوجس متواصلان، ومصير مرهون بمزاج لا يُعرف مداه. ظل، وهي في هذا الوضع الذي لا مخرج منه، ولا وسيلة لتفاديه، ينحت في تكوينها الذي صرفت سنواتها في تنسيقه وتثقيفه وتنظيفه من أية شائبة، وإعطائه تلك الصورة الطليعية البهية الأخاذة .

تغيّر زمانها وعلاقاتها؛ لم تعد تحضر لقاءات أصدقاء العمر من الفنانين والأدباء الذين كانت تقضي معهم أجمل أوقاتها، ولم تعُد تعقد اللقاءات الحميمة في بيتها، تجنباً للسؤال والجواب، وتفاديا لزلة اللسان، وخوفا من التخريجات المبطّنة. وفرغ دفتر مذكراتها من تلك اللمحات الصريحة التي كانت تسجلها تعقيباً على ما يدور في محيطها الأليف، ولم تسعفها ذاكرتها المعوقة على تذكر الكلمات الثلاث المشطوبة في دفترها الأثير. غاب التعامل البريء الذي اعتادته في كتاباتها منذ صغرها، والذي كان والدها الشاعر يدربها عليه، ونشأ إحساس مكتوم بحضور عوائق ستعطل عليها لذة العمل وتتحكم في سياق أفكارها.

أين فريد الله ويردي وعلي الشوك وحافظ الدروبي ومظفر النواب ومحمد غني ولميعة ورشدي العامل كيف سيفسرون غيابها وهي الحاضرة في مجالسهم بشكل منتظم

قالت لرشدي ذات يوم:

– تبدو أنيقاً هذا اليوم، لا بد أن يكون هناك موعد مهم !

– طبعا. كنت أتوقع حضورك.

أطرقت حياءاً، ونظرت إليه معاتبةً، وراح الأصدقاء يواصلون الملاحظة بالتعليق؛ حتى انطلق حافظ بإلقاء نكاته التي انتشلتها قهقهاتهم من حرجها، واستعادت مزاجها.

❖

هذا اليوم، مرت دعوة العشاء بسلام، لم يعطس الرئيس من فرط التوابل، ولم يشك من مغص أو عطش أو صداع، ولم يعلق على هيأة الصالة؛ وبالطبع لم يشكر أحدا على شيء.

وطنت نفسها على التعامل مع القلق في انتظار معجزة قد تجيء وقد لا تجيء.

نام الجميع، ولم يواتها النوم إلا عند الفجر.

❖

كلمات مشطوبة

في صفحة من دفتر مذكراتها، كانت هناك ثلاث كلمات مشطوبة بشكل عصبي متعمّد أدّى إلى تعمية الحروف تماماً؛ لم تكن تلك عادتها، كانت تشطب على الكلمة وتسترسل في الكتابة.في هذه الصفحة كانت الكلمات مطموسة تماماً، مشطوبة بقوة، وآثار سن القلم غائرة على الورقة التالية بشكل واضح.

أرادت أن تتذكر هذه الكلمات فلم تسعفها ذاكرتها، فقد مر عليها وقت طويل حافل بالأحداث والملابسات والمواقف. أحست بتوتر شديد، وتوالت أمامها أحداث ذلك اليوم والأيام التي تلته. ورغم أن ذلك الزمن مسح كثيرا من التفاصيل، رأت نفسها تسقط فجأة في جو ذلك اليوم.

كانت ملامح ذلك اليوم تومض شاحبةً في ذاكرتها وتهرب، ثم تلوح بشكل خاطف لا يسعفها على التقاط التفاصيل، ثم تهرب.

أحيانا يكون نحول الذاكرة معذّبا ومثيراً للقلق، قلق لا مبرر له، ولكنه يحضر بشكل لا مفرّ منه، وقد حضر الساعة.

اليوم تتصفح بتول دفترها الأثير،تعرف أن شطب تلك الكلمات كان لأمر ما،؟ ولكن ما هو؟

هل كان ذلك لصيانة حالة اجتماعية أدبية سياسية لم يكن في وضعها الإجتماعي ما يوجب ذلك، كما لم يكن للأدب ومشكلات اللغة والأسلوب شأن فيه، أما السياسة فلم تكن من همومها.

أشتاق إليك يا حبيبي..

أضاءت في ذاكرتها مثل وميض البرق ثم اختفت مثله. ولكنها فتحت في ذاكرتها أيام الجامعة، والخلوات التي كانت تجمعهما معا وهما في الطريق إلى البيت بعد انتهاء الدروس. ورغم طول المسافة بين الجامعة وبيتها،لم يكن بينهما غير الحوار العام الذي ودت لو يزحف يوما إلى ما هو أبعد وأخص، وهو ما حملها على تدوين هذه الهمسة اللاهفة التي انتبهت فيما بعد، أنها خارج ما درجت عليه، فشطبتها.

هذا الحرج من الصدق كان يفسد طبيعة الأمور، ويفرض نوعاً من الإنتقائية المحفوفة بالتردد، والمهددة لسياق الحقيقة، وليس بمستطاع أحد أن يزعم أنه كان صادقاً كل الصدق في ما قال.

من جانب آخر؛ كان يضنيها هذا الحوار المجاني الذي كان موجودا في محيط الطلبة، كانت تراه ثرثرة وضياع وقت . لم تستطع المشاركة في كثير من جوانبه، كانت تود أن يستمر الحوار على ضفاف ما يدرسونه، لا على مقاسات القمصان وتقلبات المودة وأي المخازن أجدر بالزيارة.

أشتاق إليك يا حبيبي!

❖

بتول حمدي الشاعرة التي لم تكتب سطراً، والرسامة التي لم ترسم خطاً، كانت شاعرة فنانة بامتياز؛ كانت تجاوزت الثلاثين قبل سنوات قليلة. جميلة أنيقة شفافة مشحونة بثقة داخلية وحيوية هي أبرز ما يميزها عن الأخريات. بدلتها البنية ذات الأكمام القصيرة تشد خصرها النحيف وتنسدل هفهافة على وركها المتوازن. فراشة حقيقية، تتسرب عذوبتها إلى الآخرين فتغمرهم بمزيج من المحبة والاعجاب الذي يعرقل نوازع النفس الملتوية أمام شابة فاتنة مرهفة رقيقة المزاج.

❖

mohammed_saggar@yahoo.fr

سيناريوهات ثقافية على الطريق

جمال ناجي

كيف يمكن استلال موقف ثقافي معافى ، من ركام البدايات المتعثرة، والسياقات المدببة المتحمسة، والنهايات المؤلمة لما اطلقنا عليه "المشروع الثقافي العربي"؟

عند هذا السؤال يجنح المرء، فيراوح بين حدي الاقدام والاحجام، معتقدا ان هذه المراوحة تنطوي على حس عميق بالمسؤولية الثقافية.

غير ان الآثار التي خلفتها تلك النهايات، لا تنحصر في ما احدثته من خلخلة للممكنات الثقافية، انما ايضا، في الانقسام الذي اصاب الجبهة الثقافية العربية، فأحالها الى وجود شكلي قابل للانطواء والقسمة وحتى الضرب!

الصريح المباشر في هذا الانقسام، انه كشف عن تبعية المثقف –لا الثقافة –وقابليته للامتثال الى التصديرات السياسية، كما برهن على شكلية ووهن علاقته بثقافته الأم، وبمبادئها ونواميسها.

لكن هذا الانقسام لم يعد مرشحا للاستمرار في ظل المخاطر الثقافية ،الحقيقية هذه المرة، التي باتت تهدد حضورنا ووجودنا بعد احداث البدايات الماحقة للألفية الجديدة، وما تبعها من تداعيات مثيرة!

فضلا عن هذا، فإن الانقسام الثقافي العربي، لن يتمخض عن ثقافتين مختلفتين داخل الجسم الواحد ، ذلك ان الثقافة العربية ترتكز على مرجعية مشتركة مستمدة من جذور ضاربة في عمق التاريخ.

من المهم ان نفسر اسباب هذا الانزياح بهدوء وعلانية ، لكن الأهم ان نعمل على الافادة من نتائجه ، كيما نتمكن من ترميم الانهدامات ، وازالة المخلفات ، ومعالجة المستجدات.

الى هذا، لن يكون بوسعنا ان نتحدث، حتى في الاطر الاقليمية، عن "ثقافات عربية"، اذ لوفعلنا لنفينا ما هو قائم ومثبت دوننا، ولجمعنا ما يتأبى على الجمع ، ولأسهمنا في إحداث إنشطارات لا تخدم هذه الثقافة .

غير ان تلاقي أقانيم الثقافة العربية على أرضيات مشتركة، لا يعني انها تعيش راهنا مقبولا او معافى، بدليل ما تم التقاطه على مدى السنوات المنصرمة، من اشارات بدرت عن بعض مراكز الاستقطاب الثقافي، التي تشير في مجملها الى استعداد تلك المراكز لتعميق الانقسام الثقافي بدواع سياسية، والى افتعال خروقات للمحظورات الثقافية الوطنية ، بما يفضي الى صراع بين موقفين يرتكزان على خلفيتين سياسيتين، لا ثقافيتين.

اذا كان الصراع بين هذين الموقفين ضرورة ، فعلينا ان نعيد النظر في اسلوب ادارة هذا الصراع، بمعنى انه لا يجوز ان يتمحور الصراع حول القضايا التي لاتضمن امكانات تحشيد المثقفين حول الموقف الاصلح الداعي الى حماية الثقافة العربية وتطويرها واستدراجها إلى مساحات الإنفتاح ، عن طريق اعادة النظر في مفردات خطابها ، وتخليصه من جهامة الإعتداد الذي يفضى إلى الإستهانة بالثقافات الأخرى، والانتقال به من موقع الانقياد والتبعية، الى موقع المبادرة والابداع الذي يوفر له امكانات البقاء والاستمرار!

وبصرف النظر عما يقدمه بعض المثقفين من مسوغات وتغطيات لمواقفهم الملتبسة ازاء مثل هذه القضايا، بصرف النظر أيضا عن قدرات اولئك المثقفين واماكن تمركزهم، فإن الخريطة الثقافية الآن باتت تكشف عن انزياح الكثيرين من المثقفين عن مواقفهم ومواقعهم، واستقرارهم في مواقع غريبة: اكمات وقيعان وسبخات خلفها طوفان الحروب والإضطرابات واختلال اليقين ، وهي على اي حال مخلفات غريبة عن بعض المثقفين، مألوفة للبعض الآخر.

من المهم ان نفسر اسباب هذا الانزياح بهدوء وعلانية، لكن الأهم ان نعمل على الافادة من نتائجه، كيما نتمكن من ترميم الانهدامات، وازالة المخلفات، ومعالجة المستجدات.

لابد اذاً، من انفتاح الثقافة العربية وتفاعلها المعرفي مع سواها من الثقافات ، للخروج من مأزق الإنغلاق والاحباط والخذلان الذي الم بالمثقفين اثر الارتكاسات التي منيت بها مشروعاتهم الثقافية الوطنية. ثم ما الذي يمنعنا من ابراز ما منحته ثقافتنا العربية للحضارة الانسانية منذ نشوئها؟ ولماذا لا نعترف بوجود تضاريس ثقافية جديدة انتجتها ظروف القرن الحادي والعشرين، ومتغيراته اليومية، ومفاجآته التي تكاد تخرج حتى عن سيطرة صانعيها، الذين لا يكفون عن تذكيرنا، بأن هنالك سيناريوهات ثقافية عالمية على الطريق، نكاد نراها منذ الآن. لكن، ولأنها لم تصلنا بعد، فان من الصعب ان نتوسع في الحديث عنها، على الرغم من بروز ملامحها.

متابعة

في احتفالية اقامها مركز الصباح للدراسات الإستراتيجية

صادق الصائغ :عودتي لبلدي جزء من بحثي عن هويتي التي فقدتها في الغربة

متابعة / افراح شوقي
تصوير: صباح العاني

نظم مركز الصباح للدراسات الإستراتيجية أصبوحة للشاعر صادق الصائغ تثميناً لدوره في الحركة الشعرية العراقية وكونه واحداً من جيل الستينيات بحضور عدد من الشعراء والمثقفين والمتابعين للشأن الثقافي.

أدار الأصبوحة الشاعر زعيم نصار الذي قال في تقديمه للشاعر الصائغ :نحتفي اليوم بالشاعر الذي عانى الغربتين في الداخل والخارج مع السلطات التي حكمت تلك البلاد...نشيد الكركدن...وطن للروح ..أنا التراب ...وطيران المسافات الطويلة ..حجر يبكي ..قصائد للحب قصائد للوحدة..هي مجاميع شعرية للشاعر ذات نكهة خاصة ونسيج مختلف. أن ابرز مايميز النص الشعري الذي يكتبه صادق الصائغ هو سمته الكولاجية اذ تلعب عناصر التشكيل والصورة البصرية والإيقاع الداخلي دورا مهما في بناء الهيكل العام للقصيدة. كتب عنه نقاد وشعراء كثيرون منهم عبد الزهرة زكي الذي قال ان الصائغ من الشعراء الذين يحتفظون بقدر كاف من الحرية ازاء أشعارهم وادخال الشكل الشعري في أختبارات متغيرة امتدت من العمل على اللغة واسلوب رسم النص وتوزيعه على بياض الورقة حتى طاقته الراهنة شيخا على الألتزام بالحكمة كما تعبر عنه النصوص التي كتب عنها الشاعر الصديق عبد الزهرة في صحيفة المدى. وبقي الصائغ شاعرا يتغير ومعه يتغير الشعر شكلا ولغة وايقاعا وموضوعات..هذه امتيازات الحرية في الشعر والحياة بتعبير زكي. اما الناقد فاضل ثامرفيقول أن الصائغ من ابرز رموز الجيل الستيني .صوت شعري ستيني متميز لم يحظ بالعناية الكافية من قبل النقاد لأسباب منها رحيله المبكر من العراق الى المنفى وانهماكه بعدد غير قليل من الأهتمامات والهوايات والمواهب فقد كان خطاطاً ومصمماً وكاتب سيناريو وإعلامياً وفناناً شاملاً.كان شاعرا على طريقته الخاصة ذلك انه لم يكن نتاج التجربة الستينية بصورة حصرية لان تجربته كانت قد بدأت أواخر الخمسينيات لكنها اندمجت مع الهم الستيني مع احتفاظها بالكثير من عناصر الرؤية الخمسينية الملتزمة والمتصالحة مع الواقع.

ثم تحدث كريم شغيدل مدير مركز الصباح للدراسات الإستراتيجية قائلا: صادق الصائغ التقيته قبل ان اراه في دراستي الأكاديمية عام ١٩٩٦بعد قراءة نشيد الكركدن هذا العنوان الذي يوحي بإسقاطات كثيرة ربما تخفي صوتا صارخاً آنذاك يخفي بحثاً دؤوباً عن شيء مختلف والا ماهي رمزية الكركدن في ثقافتنا؟ بعد قراءة المجموعة وفي زمن النظام السابق كان اعتراض بعض الأساتذة على هوكيف أتناول شعراء مغيبين أو مغتربين أو لديهم موقف ضد النظام فكانت حجتي هي ان رسالتي بحث فني لاعلاقة له بالسياسة او بأسقاطات الأيديولوجية السياسية وربما نجحت نوعا ما في تمرير الكثير من الأسماء وتصورت وقتها ان صادق الصائغ هو جزء من التجربة الستينية التي تمركزت حول مايسمى ببيان القصيدة الستينية (بيان ١٩٦٩)الذي اسس له الشعراء الستينيون الأربعة المعروفون وهم سامي مهدي وخالد على مصطفى وفوزي كريم وفاضل العزاوي

أخر المتحدثين عن الصائغ في الجلسة هو الناقد والشاعر علي حسن فواز الذي قال:الحديث عن تجربة صادق الصائغ تستوجب الحديث عن محطات مهمة داخل التجربة الشعرية العراقية التي أعطت لنا أو فتحت لنا افقاً حرضنا على ان نجعل من الشعرية العراقية اكثر الشعريات العربية قدرة على التجريب والمغامرة. وجاء دور الشاعر صادق الصائغ ليقرأ بعض قصائده التي حملت وجعه ورؤيته للحياة ونقل قبلها محبته للجميع وسعادته الغامرة بهذا الحشد الذي تخيله كالوطن الذي يجده في جمهور صغير وفر له اصداء معرفية تمنحه شعوراً بأنه جزء من عالم متواصل وموصل .وراح يقول:أسال دائما لماذا جئت للعراق؟وانا أتفهم معنى السؤال وأقول لهم ان من الصعب ان تجد لك هوية في الخارج مهما كنت مادامت اللغة هي حياتك توضحك كمفكر وإنسان يعيش الوجود وهذا لاتجده في الغرب لأنه عالم بعيد عن الشعر يحكمه المال والتجارة .واعتبر ان مجيئي الى هنا هو جزء من بحثي عن الهوية واجدها في الشعرومتذوقيه. أولى القصائد التي تلاها الصائغ حملت اسم سركون بولص قال عنه انه احب شاعر لديه نقتطع منها ...

سركون ياسيد الشعر والخسائر... ياذا العينين المسحوقتين في طواحين الألم.... منذ الآف السنين الآن تستطيع ان تطلق ضحكتك المجللة في الفضاء...ان تحب أو تغضب أكثر او اقل من اللازم...ان تنصت كعادتك لغزالة الروح...ولغصن مرتجف سهل الأنكسار. وتوالت القصائد التي صاحبتها أغنيات مختارة للمطرب جواد محسن بمصاحبة العود الذي اطرب الجمهور وخصوصا شاعرنا الصائغ الذي علق بالقول ضاحكاً لو كنت اعرف ان جواد سيغني اليوم لكنت قد هيأت معي

قصائد تتغنى بالحب والغزل!وفي ختام الجلسة قدم مركز الصباح للدراسات الإستراتيجية هدية تذكارية للشاعر المحتفى به عبارة عن لوح إبداعي من جريدة الصباح.